الفصل السادس
النمو الديموغرافي في محيط
البحر الأبيض المتوسط

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

يبدو من خلال تشخيص الحالة الديموغرافية في العالم اليوم، أن واحدا من اثنين من سكان العالم يعيش اليوم في بلد معدل الولادات فيه أقل من الحد الذي يضمن خلف الأجيال، وهذه الحالة لم تعد مقتصرة على أوروبا فحسب أو" **صين** " الطفل الوحيد، وإنما امتدت إلى بلدان كثيرة من الكرة الأرضية، أي أن هذه الحالة امتدت الى أمريكا والغرب برمته و لم تعد القضية **شمال وجنوب**، وكمثال على هذه الحالة نجد بلدين عربيين هما **تونس ولبنان** حيث انخفض معدل الولادات فيهما سنة (1999م) إلى ماتحت **حد الخطورة** بقليل، والذي لم يكن بتلك الخطورة مادام الرقم الذي بلغه قدر بـــ (2,09%) للمرأة الواحدة، أي مستوى معروف عنه ضمانه تحديد الأجيال.

والجدير بالملاحظة، أنه في سنة (1999م) بلغ معدل الولادات في تونس (2,09%) طفل واحد لكل امرأة، لكن باختلاف كبير بحسب المناطق، إذ نجد هذا المعدل في مقاطعة تونس لم يتعد (1,55%).وهناك دول أخرى مرشحة لمعرفة نفس هذا المعدل الواقع تحت **ضمان تجدد الأجيال** (**le renouvellement des générations**) حسب مقياس منظمة الأمم المتحدة وهذه البلدان المقبلة على هذه الوضعية هي الجزائر، والمغرب، وليبيا، وبسرعة أقل بعض دول المشرق العربي مثل مصر، لتليها من بعيد دول أخرى من المنطقة.

ويبدو أن نهاية الانفجار الديموغرافي بدأت ترتسم معالمها، كحجم الأسرة، وسيادة النمط الأسري من طفل واحد أو طفلين حاليا لاتعني بأي حال توقف زيادة

الدورة السكانية، لكن الثابت، حتى الآن، على الأقل، بكل المقاييس، أن معدلات هذه الزيادة الطبيعية للسكان هي في تقلص مستمر، وكمثال الجزائر بحالتها المدهشة إذ بلغ معدل الزيادة أقصاه سنة (1984م) ، أي منذ (16) سنة فقط تم تسجيل زيادة سنوية بلغت سنويا (32) في الألف.لكن بعد عشر سنوات من بعد أي في سنة (1984م) انخفض هذا المعدل بعشر نقاط ليصل سنة (1999م) ، وهو آخر رقم لدينا، الى (14) في الألف.[1]

وهكذا، يتضح لنا جليا، أن حالة الجزائر تضعنا أمام انخفاض سريع جدا في نسبة الزيادة السكانية، لكن مع ذلك ينبغي تكييف الآثارالمترتبة عن المعدلات المرتفعة التي شهدتها العقود الأخيرة.ومايحدث حاليا في المجال الديموغرافي قد يقلب الوضع الراهن، مما يدعو إلى ضرورة إعادة النظر في الصيغ التي تم التعود عليها في ما يخص منطقة البحر الأبيض المتوسط (la mer méditerranée) والفروق الثقافية بين الشمال والجنوب (nord-sud).

[1] انتقالية واستشفاف،العدد2،سنة2002م،المعهد الوطني للدراسات الإستراتيجية الشاملة،الجزائر.

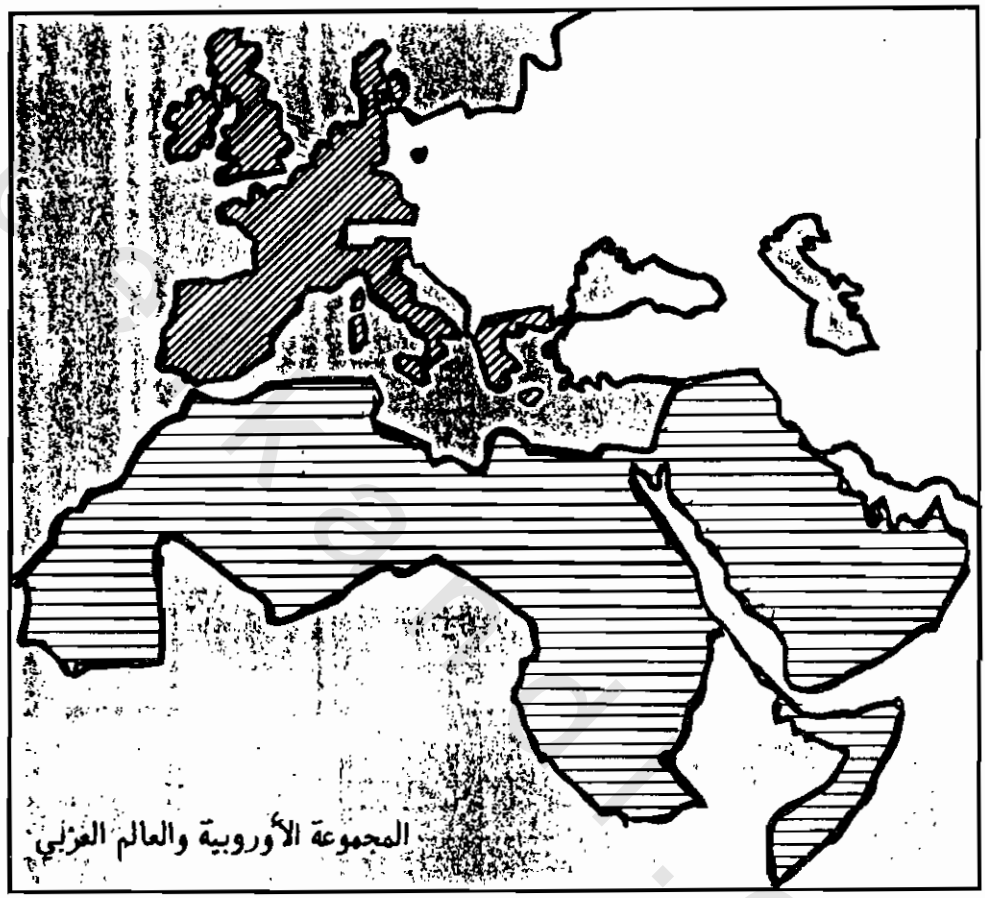

نشرة الجزائر والمجموعة الأوروبية، سنة **1985**، الجزائر.

المبحث الأول

ارتفاع الولادات في بلدان الجنوب

صدر عن صندوق الأمم المتحدة للسكان بعنوان"**الوضع السكاني في العالم**" وهو تقرير غاية في الأهمية، صدر في سنة (1998م) ، يحتوي التقريرعلى ملحق إحصائي يعطي المؤشرات السكانية الرئيسية الخاصة بكل دولة ولفترات مدتها عادة خمس سنوات.ومايستوقف المرء في هذا التقرير هو **الحالة الليبية**، خاصة في الفترة (1995م-2000م) ظهر فيه أن معدل الولادات لدى المرأة الليبية هو (5,92) طفل.إلاأن مايثير الدهشة أن التقرير الخاص بتلك السنة- أي في السنة الموالية- المعدل المسجل سنة (1998م) المذكور قد انخفض انخفاضا كبيرا يبلغ (3,10) وهذا معناه أن عدد الولادات لدى المرأة الليبية قد تقلص بـــ (2,4) طفل في ظرف سنة !!وهذا غير صحيح، فقط التغيير وقع في الطريقة التي تم اعتمادها في تقرير عدد الولادات، وهو مايسمى **باستيفاء الحساب** (mise à jour).

في المغرب أيضا وقع مايصل في ليبيا، فعند قراءتك للصفحة المخصصة للسكان في التقرير نجد أن التوقعات تقول إن عدد سكانه سيبلغ (60) مليون نسمة سنة (2025م).لكن عادة ماتتم إعادة النظر من هذه التوقعات، ففي التقرير الصادر في سنة (1984م) يشير إلى أن عدد سكان المغرب في أفق (2025م) قد ينخفض بما لايقل عن (20) مليون، وهكذا يتم بجرة قلم على (20) مليون مغربي في أفق

(2025م).ويتواصل اليوم هذا الشعب، إذ من المتوقع أن يبلغ عدد المغاربة (37) مليون سنة (2025م).

وهناك حالة أخرى قد تبدو غريبة، وهي **حالة العراق**، ، الذي لايجري به أي تحقيق إحصائي للسكان منذ مدة طويلة، بسبب الحروب والاضطرابات التي عرفتها المنطقة ولا تزال، والتي آخرها الاحتلال الأمريكي، مما حدا بالأمم المتحدة أن تعطي مؤشرات حاليا بمعدل (5,25) طفل لكل امرأة، لكن واقع الحال يفند ذلك، إذ كيف ببلد مثل العراق مستنزفا بالحروب ويخضع لحصار دولي مذ عشر سنوات قادر على أن يخلق لدى سكانه الثقة في العيش وبناء اقتصاد يسمح بمثل هذا العدد من الأطفال.

obeikandl.com

الأهمية النسبية للمبادلات التجارية بين المغرب العربي والمجموعة الأوروبية

- حصة المجموعة الأوروبية في تجارة المغرب العربي الخارجية

الواردات

الصادرات

- حصة المغرب العربي في التجارة الخارجية للمجموعة الأوروبية

الواردات

المغرب العربي 1,5 ٪

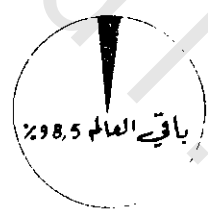

الصادرات

المغرب العربي 1,3 ٪

نشرة الجزائر و المجموعة الأوروبية سنة 1985، الجزائر

إن خرافة ارتفاع معدل الولادات في العالم العربي (le monde arabe) حديثة النشأة، وليس صحيحا إن معدل الولادات في العالم الاسلامي مرتفع جدا، كل ما في الأمر أن هناك مواجهة سياسية، ومواجهة عسكرية بين الشرق والغرب، أو بين الشمال والجنوب، والمواجهة حدثت بالفعل في مناطق ثلاث هي: مصر، وفلسطين، والجزائر، وما يؤسف له حقا أن كاتبا لامعا مثل **صمويل هنتنغتون** الذي أصدر كتابه **صراع الحضارات** في سنة (1996م) ، ورد في جزء من الكتاب **أن المد الاسلامي سوف يراوح مكانه ليحتويه التاريخ**..وقد يحدث ذلك لامحالة حينما يضعف المد الديموغرافي الذي كان يتغذى منه.وهو مايتوقع أن يتم في السنوات (2020م-2030م).[1]

إن معدل زيادة الولادات في دول البحر الأبيض المتوسط (la mer méditerranée) هي الآن أضعف إذ يبلغ (3,5) طفل لكل امرأة، وفي الجزائر بـــ (2,67) ، أي أنه ينخفض بالكاد كل يوم، وبسرعة أكبر ما كان الحال عليه في السبعينيات حينما بلغ هذا المعدل ذروته، حيث كان المعدل في تلك الفترة (7-8) طفل لكل امرأة بحسب البلدان[2] والفئات الاجتماعية، بمعنى أن فتيات الألفية الثالثة في الجزائر أصبحن اليوم يلدن أقل من نصف ماكانت أمهاتهن يلدن، وبالتالي، فالأمور تتغير بسرعة بصورة أذهلت خبراء الأمم المتحدة في هذا الشأن ومايحدث في الجزائر يحدث في تونس، وفي إيران.

---

[1] . للمزيد من ا لتفاصيل انظر مؤلفنا حول "النظام م الدولي الجديد"، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية بالجز ائر،سنة2003.

[2] انتقالية و استشفاف،مرجع سبق ذكره.

وفي مصر، بعد تقهقر **النظام الريعي للدولة** (**le systéme rentier de l'etat**) ، الذي لم يدم الا نحو ثماني سنوات انخفض معدل الولادات في زمن حكم **عبد الناصر**، ليستأنف تصاعده في عهد **السادات**، ثم ليتقهقر من جديد جراء برامج الاصلاحات الهيكلية المعتمدة في منتصف الثمانينيات.

أما معدلات الولادات في فلسطين، فنجد في غزة أن (90%) من السكان تقريبا هم حضر (urbanisation) والمفترض أن هذا العامل وغيره (تعليم البنات بتأهيله الجيد) يؤدي إلى انخفاض معدل الولادات، إلا أن تحقيقا جرى في سنة (1995م) سجل رقما قياسيا في عدد الولادات بلغ، في أوائل التسعينيات، نحو (8) أطفال لكل امرأة، والأغرب أن هذا الخط البياني ارتفع معدله أثناء الانتفاضة، رغم ارتفاع نسبة التمدرس لدى الأطفال، إنها القنبلة الديموغرافية التي يراهن عليها الفلسطينيون في وجه الاحتلال الذي يحاول إبادتهم بكل الوسائل، زيادة على أن الاقتصاد الفلسطيني هو في الأساس ريعي بكل الأداءات.

obeikandl.com

المبحث الثاني

مؤشرات ثلاثية الأبعاد

كثيرا مايطرح الباحث الديموغرافي أثناء تناوله فئة الخمسة وعشرين سنة من العمر وهي **أولا**:نوع المنافسة التي يجدها لدى جيله؟، **وثانيا**:ماهي الأعباء الحالية المفترض أن يخضع لها الفرد إن من جانب الأولياء بعد توقفهم عن العمل؟أو بكافة جيلهم متى كان هناك نظام أشمل لإعادة التوزيع.**وثالثا**:ماهي الأعباء المترتبة على الفرد إثناء حياته في مايخص ذريته أو ما هو آت؟.

هذه المؤشرات بقوائمها الثلاثة لها حساباتها الخاصة بكل دولة في المنطقة التي تمتد من إيران إلى المغرب، وهي على قدر كبير من الأهمية، ويسميها البعض **بالمنافسة الأفقية (la concurence horizentale)** ، [1]أي بين أفراد نفس الجيل، والتي تبدو جلية من خلال أفراد الأسرة الواحدة، ةهي منافسة خاضعة إلى حركتين متعاكستين.**فمن جهة**، هناك انخفاض معدل الوفيات الذي زاد في حدة النافسة لأن عدد الأطفال الذين بلغوا سن الـــ (25) هو اليوم أزيد بكثير منه في فترة سابقة،

ومن **جهة ثانية** ، أدى انخفاض هذه المنافسة، بالنسبة لكافة دول منطقة البحر الأبيض المتوسط (la méditerranée) ، وقد بلغت هذه المنافسة أوجها في الفترة الممتدة مابين (1970م-1975م) ، وإن تباينت من حالة إلى أخرى.فلو أخذنا بمقياس عدد **أفرد الأسرة الواحدة**، وهو بمعدل (5,34) لوجدنا أنها تختلف

---

[1] انتقالية واستشفاف،مرجع سبق ذكره

كثيرا من بلد عربي إلى آخر، ففي لبنان بلغ عدد الذرية أقصاه في جيل سنة (1950م) حيث قدر معدله بـــ (4,8) ، وفي فلسطين في جيل (1990م) حيث قدر معدله بـــ (7,2) ، أما في الجزائر، فإن أعلى زيادة كانت سنة (1975م) بمعدل (6,2).

obeikandl.com

عكس التدفق النقدي

يبين الشكل صافي التحويلات المالية بين البلدان الصناعية والنامية على مدى العقد الماضي . «التحويلات الصافية» تعني جميع القروض مطروحاً منها الفوائد ومدفوعات رأس المال من القروض السابقة .

تحويلات الى البلدان النامية

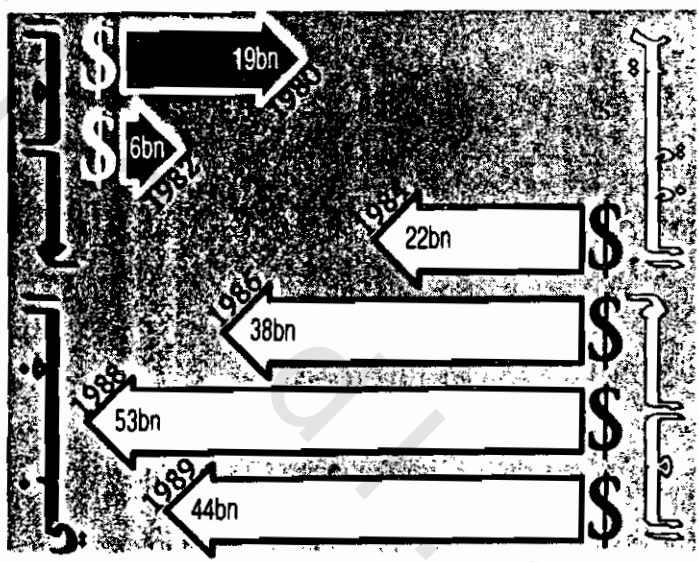

تحويلات من البلدان النامية

يقدر ان الحماية الاغلاقية للتجارة في الدول الصناعية تكلف البلدان الفقيرة مبلغ ٥٠ مليار دولار إضافية كل سنة ، نتيجة لتوقف صادراتها .

منظمة الأمم المتحدة للطفولة(اليونيسف).

الهجرة الدولية (l'emmigration internationale) ومسار برشلونة

أدى النمو الديموغرافي السريع في دول حوض البحر الأبيض المتوسط (la mer méditerranée) إلى فروق في التنمية الاقتصادية، ويشهد اليوم الخطاب السياسي في أوروبا حالة من التغير في اعتماد مرونة من شأنها تغيير النظرة حول مسألة الهجرة.وفي البلدان الأوروبية هناك أصوات تدعو إلى الصرامة التامة في مايخص عودة المغتربين إلى أوطانهم.

وقد كلفت **اللجنة الأوروبية** عددا من الخبراء من بينهم[1] للتفكير في مسألة الهجرة، لكن بغرض تقديم اقتراحات وصيغ جديدة، حتى يتم على أساسها وضع نصوص جديدة، وموقف الساسة والإداريين في أوروبا يقوم على اعتبار أن هناك تكاملا بين **الطلب الأوروبي والعرض القادم** مما يسمى في أوروبا بالبلدان الأخرى، وغني عن البيان بلدان جنوبي البحر الأبيض المتوسط.

من جهة الطلب، هناك بطبيعة الحال فكرة شيخوخة السكان في أوروبا خاصة أن التقاعد يؤخذ غالبا في الستين.إن الانفجار الديموغرافي الذي عرفته أوروبا إثر الحرب العالمية الثانية ستبلغ أجياله هذا السن سنة (2006م) ولاسيما في تلك الأنظمة التي تأخذ بالتقاعد على أساس التقسيم، وهي السائدة حاليا في أوروبا.

---

[1] السيد/فيليب فارغاس،مدير برنامج الهجرات المتوسطية،بفلورنسا.

الأسلحة والديون والناس

يكرس نحو ٤٠٪ من النفقات الحكومية في البلدان النامية للنفقات العسكرية وخدمة الديون . وفي بعض المناطق ، يبلغ الانفاق الحكومي على الجيوش والتسلح ضعف النفقات الحكومية على الصحة والتعليم معاً .

النسبة المئوية للنفقات الحكومية المركزية على الجيوش والتسلح وخدمة الديون والصحة والتعليم .

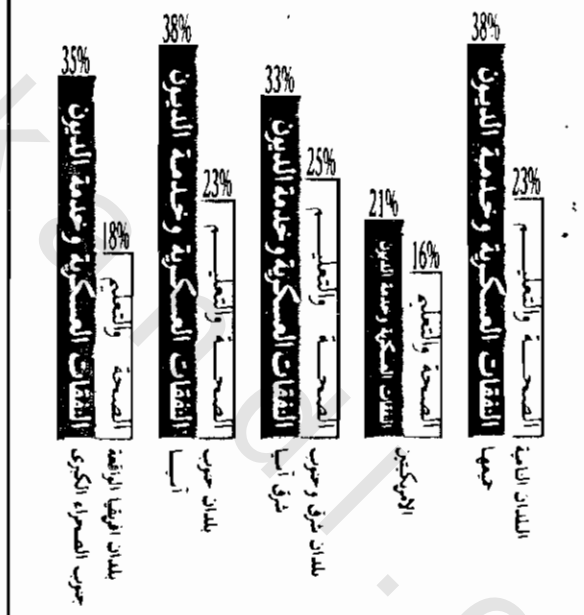

منظمة الأمم المتحدة للطفولة(اليونيسف).

أيضا، هناك حالة **الانتعاش الاقتصادي** (**le boom économique**) الذي تشهده أوروبا، والذي بلاشك، يتأثر كثيرا بمؤشر ذي صلة كبيرة، وهو البطالة التي على وشك الزوال بسرعة في هذه البلدان، وهذا قد يساعد على تغيير النظرة الى المغترب بعد أن كان يعتبر أنه ما جاء إلا ليخطف منصب عمل على حساب المواطن، وصار ينظر الى المغترب على أنه يسد الحاجة إلى اليد العاملة في المؤسسة، وبالتالي، فهناك انتعاش اقتصادي على غاية من الأهمية.لقد وقع الحديث كثيرا عن **قطاع المعلوماتية**، وتكنولوجيات الإعلام في ألمانيا، حيث طلبت هذه الأخيرة من الهند تزويدها بـــ (80.000) مختص في هذا المجال لكنها لم تستطع الحصول الا على (5000) منهم، إذن، الألمان قلقون جدا بعد أن لاحظوا أن الناس لايتهاتفون عليهم بعد العرض الذي أعلنوه.

وكانت وثيقة قد أثارت ضجة إعلامية، ويتعلق الأمر بتقرير أنجزته منظمة الأمم المتحدة (ONU) ، يحمل توقعات سكانية مستقبلية على عدد من البلدان المصنعة، وجاء التقرير بعنوان هل تقدم هجرة الاستعاضة حلولا؟ (**la migration offre – t-elle du solution !de remplacement** ! ويدور الموضوع حول تعويض النقص المسجل في عدد السكان الأصليين بمغتربين بحسب الأغراض التي يتم تحديدها، وهي حضور الملايين المغتربين الضروريين لبلدان الاتحاد الأوروبي برمته في الفترة الممتدة مابين (2000م-2050م).فإذا أردت الاحتفاظ بالعدد الإجمالي للسكان فقط، يلزمك (47) مليون مغترب، وهو عدد ليس بكبير، لأن مليون كل سنة لايني الشي الكثير.وإذا أردت الاحتفاظ بالعدد الإجمالي لليد العاملة النشطة،

يلزمك (6 ,79) مليون مغترب، وهو عدد يفوق العدد الأول بكثير، يتطلب الأمر استقدام (5 ,1) مليون مغترب كل سنة.وإذا أردت الاحتفاظ بما يسمى بعلاقات التبعية (les relations de dépendance) ، أي العلاقة بين السكان النشطين والسكان غير النشطين، يلزمك (701,1) مليون مغترب حسب تقديرات منظمة الأمم المتحدة (ONU).

obeikandl.com

المبحث الثالث

إجراءات الشمال نحو الجنوب

بقراءة هادئة **لمسار برشلونة**[1] نجده يتحفظ كثيرا في الجوانب الإنسانية. فالمنطقة الأورومتوسطية وفق هذا المسار تقوم على **مبدأ التمييز** بين الرغبة في تشجيع الزيادة في تنقل البضائع، ورؤوس الأموال، والأفكار، من جهة، وبين **ضرورة مواصلة التحكم** في تنقل الأشخاص من جهة ثانية، وهكذا نجد طرفي المعادلة في مسار برشلونة غير متوازيين.

وعودة إلى سنة (1974م) ، كانت الإجراءات المعتمدة في أوروبا تقضي بالسماح بلم شمل الأسر، وهجرة اللاجئين، أوطالبي اللجوء السياسي (l'asile politique) ، على أساس كل حالة على حدة، في المقابل لاتسمح هذه الإجراءات بهجرة العمال آلافي الحالات النادرة، وبالتالي، **فمسار برشلونة** لم يغير من الأمر شيئا في هذه الاجراءت، ولا يزال يشجع على ترقية التبادل الاقتصادي ويمنع التبادل الديموغرافي، وهذا الغموض يرجع في الأساس الى الخطاب الأوروبي، الذي مافتئ

---

[1] ضم اجتماع برشلونة،الذي تم تنظيمه تحت رئاسة اسبانيا للاتحاد الأوروبي في 27و28نوفمبر سنة1995م،وزراء الشؤون الخارجية للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي ونظرائهم من بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط وهم:الجزائر،قبرص،مصر،اسرائيل،الأردن،لبنان،مالطا،المغرب،سوريا،تونس،تركيا،والسلطة الفلسطينية،وتحظى موريتانيا،بحكم انتمائها إلى اتحاد المغرب العربي بوضع قانوني خاص،ولم تشمل هذه الدعوة أيا من ليبيا ولا ألبانيا ولا حتى جمهوريات يوغسلافيا السابقة.

وحدد إعلان برشلونة أهداف وطرق الشراكة بين الاتحاد الأوروبي والبلدان الأخرى للبحر الأبيض المتوسط وهي:

-التعاون السياسي والتعاون في مجال الأمن،

-التعاون الاقتصادي والمالي،

-التعاون في الميادين الاجتماعية والثقافية والإنسانية.

اين تذهب المساعدات

يصرف نحو ١٥٪ فقط من جميع المساعدات على الصحة والتعليم (بكافة مستوياته) والبرامج السكانية ، بينما يصرف ٢٪ فقط على الرعاية الصحية الاولية والتعليم الابتدائي ، وهي الخدمات الاساسية للغالبية الفقيرة في البلدان النامية .

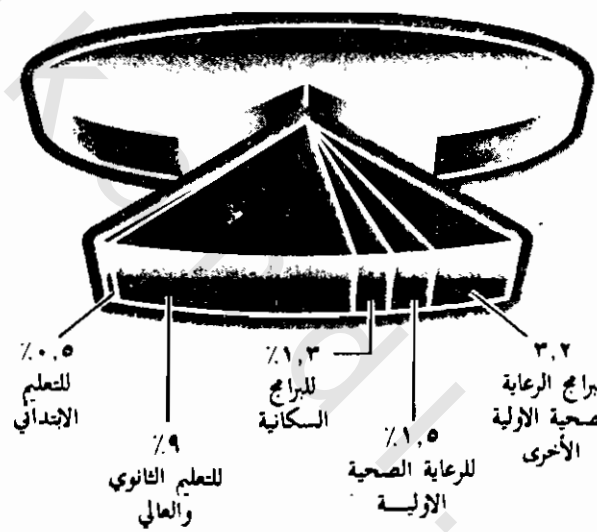

نشرة الجزائر والمجموعة الأوروبية، سنة 1985م، الجزائر.

يمدح الحريات وانفتاح أوروبا، أولا نحو الجنوب (اسبانيا، والبرتغال، واليونان) ، ثم حاليا نحو الشرق.لقد انفتحت أوروبا على اسبانيا بعد تخلصها من **نظام فرانكو**، وعلى البرتغال بعد تخلصها من **نظام سالازار**، وعلى اليونان بعد تخلصها من **نظام العقداء**، واليوم تنفتح على الشرق بعد سقوط جدار برلين.لكن كلما تعلق الأمر بالحديث عن الهجرة طغت مسألة الأمن، والإرهاب، وغيرهما إلى السطح من جديد.

الا أن ما يلاحظ حاليا، أن سياسات القيود المفروضة في مجال الهجرة، والتي كانت محل انتقاد كثير من السياسيين، أثبتت عجزها في مجال الاجراءات بمرور الأيام، كما بينت عجزها في مجال مراقبة الحدود، والتضييق على الحصول على التأشيرات دون جدوى.وهناك اتجاه يهدف إلى القضاء على أسباب الهجرة في حد ذاتها، وغلق دورة الهجرة بالأساس كما تم ذلك في **الحالة الايطالية** من قبل، ومؤخرا في **الحالة البرتغالية** بالنسبة إلى الهجرة من هذا البلد نحو أوروبا الشمالية، وهي حالات بدأت دراستها بجد.

إن مستقبل منطقة البحر الأبيض المتوسط ديموغرافيا، أنه لأول مرة في التاريخ، يدخل الشمال في فترة سوف تشهد فيها انخفاضا لليد العاملة النشطة فيه، كما يمكن أن تواصل إنتاجية العمل في الزيادة، ونفس الشيء ينطبق على الإستهلاك ولاسيما في قطاع الخدمات، وينتظر أن يقضي التقدم التكنولوجي على مناصب العمل، وسيظل هذا الحال لفترة في الدول الواقعة شمال البحر الأبيض المتوسط، أي أن مناصب الشغل سوف يتجاوز مستوى الطلب، وكنتيجة حتمية لذلك أن أوروبا سوف تكون في حاجة إلى اليد العاملة.

أيضا، سوف تشهد اليد العاملة النشطة في دول الجنوب تزايدها خلال العقدين المقبلين، كما سيتزايد عدد العمال المؤهلين فيها بسرعة أكثر من اليد العاملة النشطة.وقد يتخذ الأمر أشكالا مختلفة، إما عن طريق جلب الاستثمارات المباشرة الأجنبية، أوتقبل فكرة تنقل اليد العاملة بما في ذلك اليد العاملة العالية التأهيل، وهو مايسمى بـــ (**هجرة الأدمغة**) [1]، أي أننا أمام نظام فيه عرض من جهة، وطلب من جهةثانية.**هل يتطابق الاثنان يوما ما؟** المؤشرات تدل أن الإجابة هي بالنفي طبعا، فنحن اليوم أمام سوق صارت عالمية، و لم تعد الجغرافيا وحدها كافية في تحديد جاذبية الأسواق، هناك بلدان المغرب العربي، لكن هناك أيضا مصر وتركيا القريبتين من أوروبا.كما أن هناك الهند التي أصبحت قريبة أكثر فأكثر من أوروبا.ومثال الطلب الألماني من الهند تزويده بكفاءات عالية التأهيل الذي سبق ذكره خير مثال حي على ذلك.

[1] للاستزادة في الموضوع،انظر مؤلفنا (هجرة الكفاءات العربية) ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر، ط1،سنة2002.

وهكذا، كما رأينا في هذه الدراسة فإن المشكل الديموغرافي أصبح من الأمور التي تفرض نفسها وذلك لعلاقته الوثيقة بالتنمية الاقتصادية (le développement économique) انطلاقا من انعكاسات النمو السكاني (la croissance de la population) على التنمية ورفاهية المجتمع (le bien être de la société).لذا أصبح من الضروري وضع صيغة واضحة تربط مابين زيادة السكان والتنمية لأن الزيادة غير المنتظمة تؤدي إلى القضاء على آثار التنمية.

فالجنس البشري عرف مختلف مراحل التنظيم التي يلعب فيها العامل الديموغرافي دورا بالغ الأهمية، بدءا من التجمع البشري البسيط الى الأوطان الكبرى المتعددة الجنسيات، ومن المناطق القاحلة المهجورة إلى السهوب الخصبة الكثيرة السكان، ومن المدن الصغيرة الى المدن الحضرية العصرية الضخمة.

وبالتالي، فإن كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع البشري تحل طابعا حضاريا من الطابع البدائي إلى الطابع الأكثر تحضرا، فالحضارات التي توالت منذ أزمنة سحيقة قد تولدت وتطورت منذ أن عرف الانسان العيش في مجموعة بشرية، ولاسيما منذ تشييد المدن وتأسيس الدول، و لم يكن ممكنا لهذه الأخيرة أن تبقى في الوجود من غير الدفع الديموغرافي، ومن ذلك طرح التضاعف الديموغرافي المشكل الذي مكن المجتمعات المغلوبة على أمرها من تجاوز طاقاتها من الانتاج للوصول إلى خلق توازن نسبي بين عدد السكان وتلبية حاجياتهم الاجتماعية.

أيضا، هناك جزئية مهمة أن بعض الدول سلكت لحل قضية التوازن هـذه سياسات مختلفة للتوصل إلى استخلاص الزوائد الضرورية لتغطية طلب سكانها، وهذا ما أدى إلى أن قارات بأكملها وقعت تحت الغارات الأجنبية التي لم تكن تولي أهمية السكان الأهالي الذين أبيد بعضهم وعوضوا بالسكان المستعمرين.

ومن هنا، ليس مستغربا أن تسجل اليوم أكبر النسب في التخصيب في البلدان التي كانت مستعمرة والتي توجد في مناطق العالم الثالث (le tiers monde) ، فالموقف التخصيبي والإكثار من الإنجاب في هذه البلدان له أسبابه التاريخية وأسبابه الاجتماعية السياسية، وهو موقف يوجد مثيله كذلك في الجزائر.

وقد كانت عقلية الإكثار من الأولاد لمدة طويلة أثناء الفترة الاستعمارية إحدى وسائل الدفاع أمام محاولات الإبادة الجسدية التي يقوم بها الاستعمار ضد شعوب دول العالم الثالث (le tiers monde) ، وإن الإكثار من الأولاد كان شكلا من أشكال المقاومة وإيمان قومي بالمستقبل، وتأكيده لوجوده أمام الأجنبي.

ويضاف إلى ذلك، أن ضعف درجة تطور القوى الإنتاجية، وكذا عدم وجود الحماية الاجتماعية لشعوب الدول النامية (les pays en voie de développement) ، كانت هي الدافع بالأساس إلى الإكثار من الذرية باعتبار انه الضمان لنجاح استغلال قطعة الأرض التابعة للأسرة والتكفل باستثمارها.

عالم اليوم، تقاس فيه عظمة الأوطان ومكانتها ليس بعدد سكانها ولكن بمدى إشعاعها العلمي والثقافي والأخلاقي التي تتشكل أسسها القوية والراسخة من اقتصاد مزدهر ومجتمع سليم يتمتع بالمنعة والازدهار.

لقد رأينا كيف أن النمو الديموغرافي باتجاهه الصاروخي يكـــون ســـببا في (**هجرة الأدمغة**) نحو العالم الآخر بفعـــل الفـــروق في التنميـــة الإقتـــصادية (le développement économique) ، ومشاكل الحياة، وتدني نـــسبة العمالـــة في أوساط الشباب، مما يتطلب إيلاء الاهتمام بالقضايا السياسية والاجتماعية التي يمكن أن تكون لها نتائج سلبية بالغة الأثر على مجتمعات الدول النامية (les pays en voie de développement).

وانطلاقا، من تراجع عقلية الإنجاب ولوجود شعور يزداد تغلغلا بمرور الأيام يلح على ضرورة تطبيق سياسة ديموغرافية تكون مرتبطة بسياسة التنمية الكاملـــة في الدول النامية (les pays en voie de développement) ، ينبغي ايجـــاد صـــيغ عملية من شأنها وضع سياسة ديموغرافية فعالة ترمي إلى التحكم في النمو السكاني (la croissance de la population) ، فالنمو الديموغرافي الكبير أصبح سمة الـــدول النامية (les pays en voie de développement) يعتبر بالتأكيد احدى الضغوط الرئيسية للتنمية، فهي تؤدي بتأثيراتها إلى عرقلة التنمية، ومن ثم القضاء على الجهـــود المبذولة من أجل رفع المستوى المعيشي وتحسين حياة شعوب العالم برمته.

وفي تقديرنا أن النمو الديموغرافي بمؤشراته العالية الراهنة يدعونا إلى طـــرح أفكار ومقترحات مناسبة، قد تساعد في تقريب المسافات المتباعـــدة بـــين الزيـــادة السكانية من جهة والتنمية الاقتصادية من جهة أخرى، وذلك على النحو التالي:

- العمل على وضع حد للتبعية الاقتصادية، وذلك بتعديل السياسة الدولية التي تجري بصورة غير مقبولة أدت إلى خلل في التوازنات التي كانت لها

آثار سلبية خاصة على اقتصاديات العالم الثالث (le tiers monde) ، لاتزال مقلقة.

- وضع إستراتيجية هادفة للتنمية تعطي أولوية كبيرة لتطوير العلوم والتكنولوجيا وتوجيهه نحو سد الحاجيات الحقيقية لبلدان العالم الثالث (le tiers monde) ، مع الاستحضار الدائم لضرورة مراجعة الصيغ الحالية من تحويل التكنولوجيا (le transfert de la technologie) داخل بلدان العالم الثالث (le tiers monde).
- الأخذ بعين الاعتبار الاتجاهات الديموغرافية أثناء التخطيط للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، خاصة أننا نمر بمرحلة العولمة (la mondialsation) وتحدياتها الراهنة والمستقبلية.
- استغلال دول العالم الثالث (le tiers monde) الموارد البشرية والمادية التي تتوفر عليها، خاصة في هذه الظروف المتأزمة التي تميز العلاقات الدولية في عالم اليوم.
- أن تستغل الدول النامية (les pays en voie de développement) إمكانياتها المادية استغلالا عقلانيا وفعالا حتى تكون بمعزل عن الضغوط الاقتصادية الدولية التي تميل نحو الخطورة من ناحية، وأخرى تجعله يتفادى الآثار التي تحدثها الضغوط الديموغرافية المتزايدة باستمرار، والتي توشك أن تقضي على الآثار المترتبة على النمو الاقتصادي المتحصل عليه بنضال شعوب العالم الثالث (le tiers monde).

- متابعة انعكاسات الأزمة الدولية التي تتميز بوضعية نقدية غير قارة، وبارتفاع أسعار المواد المصنعة (les produits manufacturés) ، وباضطراب التجارة الدولية (le commerce international) ، والتهديد الغذائي الذي لانظير له، ويضاف إلى هذه القائمة الانفجار الديموغرافي في بلدان العالم الثالث (le tiers monde) ، الذي يأخذ مظهرا خطيرا للغاية يطرح في نهاية الأمر مشكل التوازن الغذائي الحاد في العالم.
- زيادة الإنتاج الزراعي (la production agricole) كما ونوعا من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي والسيطرة على الفجوة الغذائية، وبالتالي، توفير فائض كبير لمواجهة الاستهلاك.
- إنتاج وتوزيع المطبوعات والكتب ذات الصلة بالديموغرافية ومشاكل السكان.
- السيطرة في المدى البعيد والمتوسط على الزيادة في الولادات حتى تتم السيطرة على بناء التنمية الاقتصادية (le développement économique) والاستجابة للحاجيات الأساسية لجميع السكان، وذلك ببذل المجهودات في مجال ترقية المرأة اجتماعيا خاصة بالنسبة للمرأة الريفية، وتحسين مستواها الثقافي وإدماجها في الحياة العملية في اطار تخطيط اجتماعي محكم.

obeikandl.com

المراجع

- الدكتور/زياد الحافظ، **أزمة الغذاء في الوطن العربي**، معهد الإنماء العربي، ط2، سنة1981، بيروت.
- عبد القادر رزيق المخادمي، **الأمن المائي العربي بين الحاجات والمتطلبات**، دار الفكر، ط1، سنة1999، ط2، سنة2004، دمشق.
- عبد القدر رزيق المخادمي، **النظام الدولي الجديد:الثابت والمتغير**، ط1، سنة1999، ط2، سنة2003، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- عبد القادر رزيق المخادمي، **هجرة الكفاءات العربية..دوافعها واتجاهاتها**، ط1، سنة2002، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- عبد القادر رزيق المخادمي، **التصحر..ظاهرة طبيعية أم اجتماعية؟**، ط1، سنة2003، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- انتقالية واستشفاف، المعهد الوطني للدراسات الإستراتيجية الشاملة، العدد2، سنة2002، الجزائر.
- انتقالية واستشفاف، المعهد الوطني للدراسات الإستراتيجية الشاملة، العدد2، سنة2003، الجزائر، مسار برشلونة حصيلة وآفاق.
- الدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير، العدد22، أكتوبر سنة1980، دمشق.

- المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي بالجزائر، الدورة العامة الثالثة عشرة، مايو سنة1999، (تقرير حول التنمية البشرية) ، الجزائر.
- الدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير، العدد34، يونيو سنة1985، دمشق.
- الدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير، العدد38، ، سنة1987، دمشق.
- الدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير، العدد20، ابريل سنة1980، دمشق.
- دراسات عربية، العددان11-12، سبتمبر سنة1983، بيروت.
- الجيل، العدد5، سنة1986، بيروت.
- الجيل، العدد8، سنة1986، بيروت.
- الجيل، العدد1، سنة1986، بيروت.
- الجيل، العدد3، سنة1986، بيروت.
- دراسات عربية، العدد5، مارس، سنة1980، بيروت.
- النفط والتنمية، العدد8، سنة1978، بغداد.
- الثقافة العالمية، العدد96، أكتوبر، سنة1999، الكويت.
- المستقبل العربي، العدد19، سبتمبر، سنة1980، بيروت.
- المستقبل العربي، العدد25، مايو، سنة2000، بيروت.
- الوحدة، العدد97، أكتوبر، سنة1992، المغرب.

obeikandl.com

- النفط والتنمية، العدد3، سنة1977، بغداد.
- النفط والتنمية، العدد6، سنة1978، بغداد.
- المجاهد الأسبوعي، العدد1023، سنة1980، الجزائر.
- الجزائر غدا، الدورة العامة الرابعة للمجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي بالجزائر، أكتوبر سنة1995، الجزائر.
- الجريدة الرسمية الجزائرية، العدد21، السنة الرابعة والثلاثون، 9ابريل سنة1997.
- الشروق (صحيفة جزائرية) العدد863، 11، 2003/09/01، الجزائر.
- تقرير التنمية الإنسانية العربية لسنة2003.
- النمو الديموغرافي في الجزائر، قطاع الإعلام والتنشيط بحزب جبهة التحرير الوطني، ابريل سنة1985.

obeikandl.com

للمؤلف

1- **الأمن المائي العربي بين الحاجات والمتطلبات**، دار الفكر، دمشق، طبعة أولى سنة1999، طبعة ثانية سنة 2004

2-**النظام الدولي الجديد**: الثابت والمتغير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة أولى سنة 1999، طبعة ثانية سنة 2003

3- **أزمة لوكربي بين منطق القانون والتعنت الغربي**، دار الفكر، الجزائر، طبعة أولى سنة1999

4- **منظمة الوحدة الإفريقية**: التحدي والأمل، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، طبعة أولى سنة2000

5- **التلوث البيئي: مخاطر الحاضر وتحديات المستقبل**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة أولى سنة2000

6- **الإعلام والمستقبل: أفكار ورؤى**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة أولى سنة 2001

7- **الصراع العربي – الإسرائيلي: ما أشبه اليوم بالبارحة**، مطبعة البعث بقسنطينة، الجزائر، طبعة أولى سنة2001

8- **أحداث متحركة ... وفواصل لم تنته**، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، طبعة أولى سنة2001

9- **فضاءات حرة في الاقتصاد والدين والثقافة**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة أولى سنة 2002

obeikandi.com

10- **هجرة الكفاءات العربية**: دوافعها واتجاهاتها، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة أولى سنة 2002

11- **التصحر: ظاهرة طبيعية أم اجتماعية؟**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة أولى سنة 2003

12- **الإعلام والتنمية: قضايا.. وطموحات**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة أولى سنة2003

13- **آخر الدواء... الديمقراطية**، دا رالفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، سنة 2003

14- **نزاعات الحدود العربية**، دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، سنة 2004

15- **الحوار بين الشمال والجنوب**: نحو علاقات اقتصادية عادلة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة أولى، سنة 2004

16- **النظام العالمي الجديد للإعلام**، الأسس والأهداف (تحت الطبع)

obeikandl.com